



التماسك النصّي وأثر الإحالة في اتساع معنى النصّ القرآنيّ

زينب سليم عيدان أ.م.د. عماد جبار كاظم

جامعة واسط / كلية التربية للعلوم الانسانية

المقدمة

يُعدّ التماسك النصّي من أشهر خصائص النصّ إذ لا يقوم النصّ إلا به، فقد أجمع علماء اللسانيات النصّيّة بوصف التماسك النصّي أساساً في بناء النصّ وصياغته. وتُعدّ الإحالة أكثر المفاهيم اللغوية انتشاراً في النصوص، إذ لا يوجد نصّ أو جملة تخلو من الإحالة على شيء بل إنّ أدواتها تشكل رابطاً أساسياً بين أجزاء النصّ، فهي تُعدّ من أهم أجزاء التماسك النصّي. ونظراً لأهمية سمة حسن الارتباط وهي التي نسميها بالتماسك النصّي، فقد رأيت أن أدرس عبر هذا البحث التماسك النصّي مفهومًا، وفيما بعد سأدرس مفهوم الإحالة وعلاقتها بالإشارة والتعيين مع ذكر أقسام الإحالة، ودرست أيضاً أدوات الاتساق الاحالي، وكيف يُعدّ لها الأثر الواضح في تحقيق التماسك النصّي، درست والتناسب الاحالي بين الآيات والصور، وفي الخاتمة ذكرت أهم النتائج التي توصلت لها.

ABSTRACT

The text of the Qur'an is a coherent text. Arabs are unable to bring up like this text as it is a miraculous in its pronunciation, its words and the arrangement of its style and this coherent text could be in the formal and the semantic relationship Which contributes in the liaison among the elements of the inner text between the word and its synonyms and between the first sura and the last one and between the verse and what precedes it and follows it and so on the level of the Quranic verses.

The assignment has played an obvious role in achieving the textural cohesion especially the assignment in the pronouns as the position of the pronoun could refer to more than reference which prepare the meaning to enter the semantic expansion domaine a condition that context of expression could be possible and the demonstration pronouns and the relative pronouns participated in achieving the textual cohesion also the occasion played a major role in achieving the textual cohesion through the cohesion between the verse between them on the one hand and between the sura and its content on the other side.

أولاً: التماسك النصّي:

نزل القرآن الكريم بلغة العرب ولسانهم وعلى نهج كلامهم وقد حاروا في أمره إذ: "لا يرون في آدابهم له نظيراً، ولا يرون أنفسهم قادرين على تقليده؛ وذلك لسمو أسلوبه وجمال نسجه وما اشتمل عليه من تشريع وإخبار بالغيب..."^(١)، إذ يقول عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧٤هـ) إنهم: "تأملوه سورة سورة، وعُشراً عُشراً، وآية آية، فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبؤ بها مكانها، ولقطة يُكزّ شأنها، أو يرى أن غيرها أصلح هناك أو أشبه أو أخرى وأخلق، بل وجدوا إتساقاً بهر العقول وأعجز الجمهور، ونظاماً والتئاماً، وإتقاناً وإحكاماً"^(٢). فهو وحدة متكاملة متناسقة كأنه كلمة واحدة.

والتماسك بمعنى الترابط وهو يقابل التفكير، فهو يعني الترابط التام، إذ جاء في أساس البلاغة: "امسك الحبل وغيره وامسك بالشئ ومسك وتمسك واستمسك، وامسك عليك زوجك وأمسكت عليه ماله: حبسته، وامسك عن الأمر كفّ عنه"^(٣)، وفي لسان العرب: "المسيك من الاساقى التي تحبس الماء فلا ينضح، وأرض مَسِيكة، لا تنشف الماء لصلابتها وأرض مَسَاك أيضاً"^(٤)، فالتماسك إذن يدل على المتانة والصلابة والترابط التام. وقد أخذ التماسك (cohesion) مفاهيم متعددة وأهتم به علماء النص؛ لأنّه عبارة عن خصائص ما تتأثى عليه: "العلاقات والأدوات الشكلية والدلالية التي تسهم في الربط بين عناصر النص الداخلية، وبين النص والبيئة المحيطة من ناحية أخرى"^(٥)، فهو: "ذو طبيعة دلالية من ناحية وذو طبيعة خطية من ناحية أخرى، وأنّ الطبعيتين تتضافران معاً لتحقيق التماسك الكلي للنص"^(٦).

أما محاور التماسك الموجودة في النص القرآني:

محور التماسك بين الكلمة وجاراتها.

محور التماسك بين الآية وما يسبقها وما يليها.

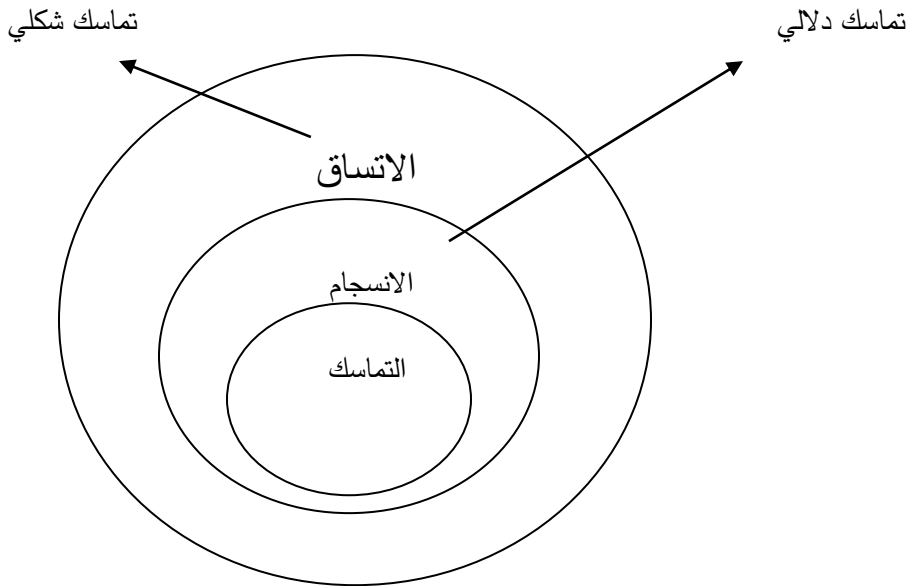
محور التماسك بين فقرات السورة.

محور التماسك بين السورة وما يليها وما يسبقها .

محور التماسك بين أول السورة وآخرها.

وأنَّ إطلاق تسمية التماسك يدلّ على التماسك الشكلي: كالاتساق والسبك، والتماسك الدلالي: كالانسجام والحبك.

كما في المخطط الآتي :



$$\text{الاتساق} + \text{الانسجام} = \text{التماسك}.$$

السبك أو الاتساق فهو: "معيّار يهتم بظاهر النّصّ ودراسة الوسائل التي تتحقّق بها خاصيّة الاستمرار اللفظي" ^(٧)، وهو يترتب على إجراءات "تبدو بها العناصر السطحية على صورة وقائع يؤدي السابق منها إلى اللاحق، بحيث يتحقّق بها الترابط الرصفي" ^(٨)، أما مجد الشاوش فيعرف الاتساق: "بكونه مجموعة الإمكانيات المتاحة في اللغة لجعل أجزاء النّصّ متماسكاً بعضها ببعض" ^(٩).

أما بالنسبة إلى الأدوات ^(١٠)، التي تسهم في ترابط النّصّ وتماسكه، هي: الإحالة أو المرجعية، الاستبدال، الحذف، الوصل، الاتساق المعجمي.

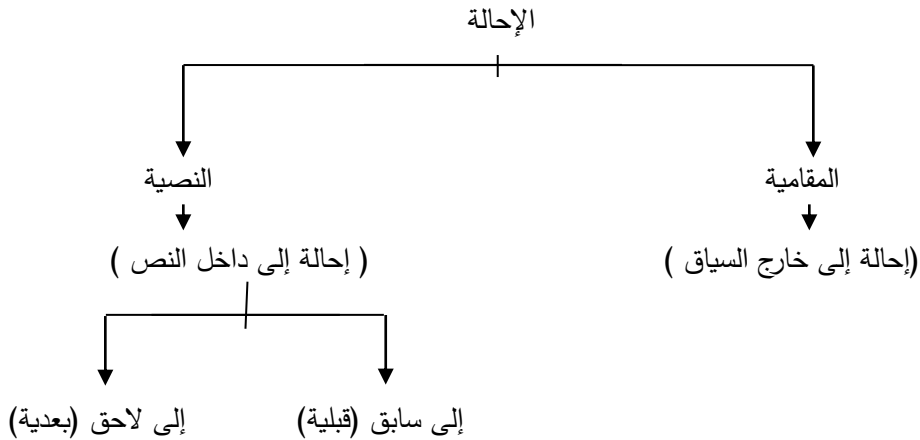
ولأنّ هذه المفاهيم يمكن أن تتوزع على أنساق السياق، فضلاً عن تعددها لذا سأقتصر على مدار الإحالة في النّصّ القرآني؛ لما لها من أهمية في إدراك مفاصل اتساع الخبر، ويجعلها دي بوجراند ^(١١)، ثمانية هي: أعاده اللفظ، واتحاد المرجع، والإضمار بعد الذكر، والإضمار لمرجع متصّد، والتعريف، والربط، والحذف .

ثانياً: الإحالة:

الإحالة لغة: هو مصدر الفعل (أحال) الحول: العام، والجمع أحوال، فحول الشيء غيره أو نقله، وأحال الرجل أي تحول من حال إلى حال، وحال عليه الحول حولاً وحؤولاً أتى، وأحال الشيء واحتال أتى عليه حول كامل ^(١٢). واصطلاحاً: الإحالة مفهوم قديم، ولكن بحكم التوسع فيه أصبح مفهوماً جديداً واسعاً... وعرف دي بوجراند الإحالة بأنها: "العلاقة بين العبارات من جهة وبين الأشياء والمواقف في العالم الخارجي الذي تشير إليه العبارات" ^(١٣)، فالإحالة: "علاقة تقوم بين الخطاب وما يحيل عليه الخطاب إن في الواقع أو في المتخيل أو في خطاب سابق لاحق" ^(١٤) .

وتنقسم الإحالة على قسمين: ^(١٥) الإحالة النصية، والإحالة المقامية: فالإحالة النصية هي التي تكون داخل النّصّ، وتنفرع إلى إحالة قبلية (الإحالة السابقة)، وإحالة بعدية (الإحالة اللاحقة)، بينما الإحالة المقامية هي التي تكون خارج النّصّ، وهذه الإحالة تتوقف معرفتها على السياق، أي: سياق الحال والمقام.

كما في المخطط الآتي:



الإحالة - الإشارة - التعيين:

ما أشيع في علمي الدلالة والتخاطب، من أنَّ ثمة تفريقاً بين الإشارة والإحالة: فالإشارة هي علاقة بين اللفظ وما يشير إليه في المقام المستخدم فيه، والإحالة هي علاقة اللفظ بالمفهوم العام الذي يحيل عليه في ذهن المخاطب، بغض النظر عن المقام أو السياق الخاص الذي ورد فيه.

أما التعيين فهو: مصطلح يقوم بتحديد الألفاظ اللغوية، إذ لا تتضح معانيها إلا من خلال السياق الذي ترد فيه، ولا يخفى أن التعيين لابد منه في تحديد المشار إليه، ثم نقل الألفاظ من حيز العموم بالإحالة، إلى حيز الإشارة بالخصوص^(١٦)، وتُقسم العبارة اللغوية وما تحيل عليه في الواقع، أي علاقة الإحالة على أربعة أقسام (عبارة عامة) و(عبارة خاصة) و(عبارة معينة) و(عبارة غير معينة) وهذه الثنائيات المتقابلة تنظم على قسمين:

١- تُعدّ (عبارة عامة) كل عبارة تحيل على مجموعه من الأشخاص، أو من الأشياء، ف(الإنسان) عبارة عامة، في حين تعدّ (عبارة خاصة) كل عبارة تحيل على شخص أو شي^(١٧)، ف(خالد) عبارة خاصة.

والإتساع الذي يحصل في الإحالة العامة واسع بوصف دلالاته على مجموعة من الأشياء مثل قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^(١٨)، إذ هنا إحالة بعبارة عامة لكل الأمور اللازمة التي يحتاج إليها الدين، فالقرآن الكريم تفصيل لكل شيء من أمور الحلال والحرام، الأوامر والنواهي، الطاعة والمعصية، لم يحدّد شيئاً خاصاً.

وأيضاً قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(١٩)، وقوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَشَهِدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢٠)، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما تقدّم.

ب- (العبارة المعينة) كلّ عبارة دالة على شخص محدد، أمّا (العبارة غير المعينة) فهي كلّ عبارة تدلّ على شخص غير محدد^(٢١). والإتساع الذي يحصل في إحالة (العبارة غير المعينة) بالغ الكمال، بوصف دلالاته على أشياء غير معينة أو محددة، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾^(٢٢)، إذ إنّ لفظة (بقرة) نكرة غير معينة، فحصل اتساع في المعنى، لو ذبحوا أي بقرة لأجزأت عنها لكن شددوا فشدد الله عليهم حينما طلبوا صفاتها، هنا حصل البيان أو التعيين بعد الخطاب.

ثالثاً : أدوات الاتساق الإحالية :

تنفرع وسائل الاتساق الإحالية إلى ثلاث: الضمائر، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة(*) .

١ - الضمائر :

الضمائر: جمع ضمير، والضمير: السرّ وداخل الخاطر، والشيء الذي تضرّعه في قلبك تقول أضمرت الشيء، أي: أخفيته^(٢٣)، والضمير: اسم جامد مبني وبسبب بنائه لا يثنى ولا يجمع، فلا تدخله علامة التنثية أو الجمع، وإنّما يدلّ بذاته وصيغته، على المفرد أو المثنى أو الجمع (المذكر أو المؤنث)^(٢٤).

ولا ريب في أنّ الإبهام والإخفاء واللبس يحول دون فهم النصّ وتماسكه، فلا بد من إزالة هذا الإبهام واللبس فجاء دور المرجع الذي يتقدّم عليه: "ليعلم المعني بالضمير عند ذكره بعد مفسره"^(٢٥)، فالأغلب في هذا المرجع أنّ يكون اسماً ظاهراً محدّداً المدلول. ومن هنا يكون تحديد دلالة هذا

الظاهر: "قرينة لفظية تعين الإبهام، الذي كان الضمير يشتمل عليه بالوضع؛ لأن معنى الضمير وظيفي وهو الحاضر أو الغائب على إطلاقها فلا يدل دلالة معجمية إلا بضميمة المرجع وبواسطة هذا المرجع يمكن أن يدل الضمير على معين، وتقدم هذا المرجع لفظاً أو رتبة أو هما معاً ضروري للوصول إلى هذه الدلالة"^(٢٦)، وقد أشار السيوطي (ت ٩١١هـ)، بأن مرجع الضمير من أشكال المجل^(٢٧)، الذي يحتل معنيين سواء كان على سبيل الحقيقة أم المجاز، ويصعب توجيهه أو تحديد المعنى المراد من المنطوق والذي يؤدي إلى الغموض^(٢٨).

فالضمير العائد: "ظاهرة نحوية تركيبية مساهمة، في اللغة عامة وفي القرآن خاصة، في اكتساب التركيب، بدافع الموضوعية أو الذاتية في التحليل، معانٍ متعددة يصعب أن يكون واضح النصّ قد قصدتها وتفظن لتواجهها جميعاً ساعة وضعه ولعلّه لم يشأ من تلك التأويلات المتعددة إلا معنى واحداً ولعلّه أراد معنى غيرها جميعاً"^(٢٩)، ورداً على كلام الدكتور هادي الجطلاوي (يصعب أن يكون واضح النصّ قد قصدتها) بأن مرجعية الضمير عملية غير مقصودة، بل بالعكس أنها عملية مقصودة باستقرار حركتها، إذ تبين أنها عملية مقصودة وتدعو إلى تحقيق التماسك النصي، ولا ريب في أنها تؤدي إلى معانٍ عديدة فاعتبرت ظاهرة فاعلة في التأويل، وقال نصر حامد أبو زيد: بأن الضمير المكرر لا يشير إلى المدلول نفسه، بل يشير إلى مدلول جديد، يعتمد على الكشف من قبل السامع الذي من شأنه أن يرى للعبارات اللغوية التي تبدو ثابتة معاني جديدة في كل لحظة^(٣٠).

ومن الانفتاح المجال الاحالي الحاصل في الضمائر ما في قوله تعالى: عن حالة العذاب والهالك الذي حل بقوم لوط (عليه السلام) وعنادهم إياه، على الرغم من محاولات لوط بأن يستجيبوا لأوامر الله تعالى فحل عليهم العذاب: ﴿فَأَخَذْنَاهُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ﴾ ﴿٧٥﴾ ﴿فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمْ سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّهَا لَيْسِيلٌ مَّقِيمٌ ﴿٧٨﴾^(٣١).

إذ تعددت مرجعية الضمير العائد على المفرد المتصل بـ (إن) فيحتمل أن يعود الضمير على أقرب مرجع وهو الآيات التي خصها الله سبحانه وتعالى بالمتوسمين وهم: "المتأملين في الأسباب وعواقبها وأولئك هم المؤمنون"^(٣٢)، أن هذه الاحداث تمثل عبرة، فإن لم تكن له عبرة قد خرج من دائرة المتوسمين (المتفكرين)^(٣٣)، وأن إحالة الضمير على الآيات هو أمر يقتضي العبرة من كل هذه الاحداث التي جرت على هؤلاء القوم وهي العقوبة بسبب كفرهم بنعم الله تعالى وعدم استجابتهم لدعوته، ويحتمل أن يعود الضمير على (الحجارة أو الصيحة)، فإن عوده على الصيحة تهديد للسامعين بأن: "الصيحة لمرصد لمن يعمل عملهم"^(٣٤)، أو يعود على الحجارة التي نزلت بقوم لوط،

ويمكن أن تنزل على كل من يتبع طريقهم، ويحتمل أن يعود على المدينة المهلكة أي أنها لبطريق ظاهر بين للمعتبر؛ لأن: "قرى لوط تقع في طريق مطروق بين الحجاز والشام يمر عليها الناس، وفيه وعضات لمن يتفرس ويتأمل، ويجد العبرة في مصارع الغابرين" (٣٥)، والإحالة هنا إلى المكان، فيكون الوصف بـ(سبيل مقيم) للمكان أي: أنه بـ: "مرر ثابت بحيث يراها الناس ويعتبرون بها لم تتدرس وهو تنبيه لقريش" (٣٦). فالمكان أصبح شاهداً ناطقاً بما حصل، هذا كله: "إلهاب للناس وتبكيته لهم، ثم بين أن ذلك غير خفي عنهم ولا بعيد عن أراد الاعتاظ به، فقال جعلاً (لهم) لعدم اعتبارهم بها مع رؤيتهم إياها في كل حين، في عداد المنكرين" (٣٧)، وهكذا اتسع النص القرآني اتساعاً واسعاً نتيجة إحالة الضمير على أكثر من مرجع.

وقوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ (٣٨)، إذ نجد في الفعل (ليحكم) ضمير مستتر غائب (هو) وقد تعددت مرجعياته، وذلك لغياب الإسناد فيه عكس الأفعال الأخرى التي يكون الإسناد فيها صريحة، فالفعل: "بعث أسند إلى فاعل صريح هو (الله) تعالى كما أن الفعل انزل لا يحتمل تعدد المحال إليه؛ لأنه عقب بجار ومجرور يتضمن ضميراً محيلاً إلى النبيين، مما يجعل الإحالة بضميرين إلى نفس العنصر (الله) مستحيلة" (٣٩). فالذي جعل إحالة الضمير متعددة هو ورود الفعل حراً غير مقيد بأي قرينة، يقول الرازي (ت ٦٠٦ هـ): "ليحكم فعل فلا بد من استناده إلى شيء تقدم ذكره، وقد تقدم ذكر أمور ثلاثة فأقربها إلى هذا اللفظ الكتاب ثم النبيون ثم الله... فيكون المعنى ليحكم الله أو النبي المنزل عليه أو الكتاب" (٤٠).

فحصل اتساع واسع في هذا النص، إذ تعدد عود الضمير هنا، فيحتمل أن يعود على الكتاب، ويحتمل أن يعود على النبي، ويحتمل أن يعود على الله تعالى، وأن جو السياق يشير بأنه أقوى مرجع يعود إليه؛ لأنه ذكر بعث الأنبياء وإنزال الكتاب معهم: "إبراماً لثني الأمر المضاعف، ليكون الأمر بشاهدين أقوى منه بشاهد واحد فقط، كان في الرسول كفاية وفي الكتاب وحده كفاية، لكن الله تعالى ثنى الأمر وجمع الكتاب، والرسول، لتكون له الحجة البالغة.. (٤١).

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَرِزْقاً حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٤٢)، الضمير الهاء في (منه) قد يعود أما إلى المذكور والمعنى: تتخذون من المذكور سكرًا، أو يعود إلى معنى الثمرات لأنها بمعنى الثمر، وقد يعود إلى النخيل، وقيل قد يعود الضمير

إلى المضاف المحذوف وهو العصور، وقد يعود إلى (ما) المضمرة، والتقدير: ومن ثمرات النخيل والأعناب ما تتخذون منه^(٤٣).

يُدرِك ما تقدّم أنّ الإحالات المتعددة للضمير يولد احتمالات عديدة للمعاني (انفتاح النص) نتيجة إشارة الضمير إلى دلالات جديدة تجعل العبارة اللغوية تحمل معاني جديدة في كل لحظة، وقد يختلف تحديد مرجع الضمير باختلاف السياق الذي يستعمل فيه.

٢- أسماء الإشارة:

تُعدّ أسماء الإشارة من الأسماء المبهمة، قال ابن يعيش (ت٦٤٣هـ)، ومن المعرفة الأسماء المبهمة، وهي ضربان: أسماء الإشارة والموصولات...^(٤٤)، فتسميتهم هذه الأسماء مبهمة: "مأخوذة من أبهت الباب إذا أغلقته. واستبهم على الجواب: أي استغلق. وكذلك هذه الأسماء إنّما وضعت في الأصل لما استبهم على المتكلم اسمه، أو أراد هو إبهامه على بعض المخاطبين دون بعض، فاكتمى بالإشارة إليه، أو كانت الإشارة إليه أبين من اسمه عند المخاطب^(٤٥)، ولهذا قيل في توصيف الإبهام مع تقديم الدليل عليه من نحو المدخولات الوظيفية وخصائصها الإمتيازية على نحو من قرائن التكميل للامتداد النَّصِّي^(٤٦)، إذ قال ابن يعيش (ت٦٤٣هـ)، معنى بالإبهام: "وقوعها على كلّ شيء من حيوان وجماد وغيرها، ولا تختصّ مسمّى دون مسمّى هذا معنى الإبهام فيها لا أنّ المراد به التكرير، ألا ترى أنّ هذه الأسماء معارف... إلا أنّ أسماء الإشارة تُبَيّن باسم الجنس، والموصولات تبين بالجملة بعدها، والذي يدلّ أنّها معارف أنّه يمتنع دخول علامة النكرة عليها، وهي (رُبّ)، وتوصف بالمعارف..."^(٤٧)، وهذا ما يؤيّد الرضي (ت٦٨٦هـ)، إذ قال: "وإنّما سمّيت بالمبهمات، وإن كانت معارف؛ لأنّ اسم الإشارة من غير إشارة حسيّة إلى المشار إليه مبهم عند المخاطب، لأنّ بحضرة المتكلم أشياء يحتمل أن تكون مشاراً إليها، وكذا الموصولات، من دون الصلات مبهمة عند المخاطب..."^(٤٨)، فيفيد استعمال أسماء الإشارة؛ لتمييز المشار إليه أكمل تمييز: بإحضاره في ذهن المتلقي بوساطة الإشارة حساً^(٤٩).

فالإشارة لغة، هي: الإيحاء، وأشار إليه باليد والرأس: أوماً، وأشار الرجل إشارة إذ أوماً بيده ورأسه وأشرت إليه لوجت إليه^(٥٠)، والإشارة: "أن يكون اللفظ القليل مشتملاً على معاني كثيرة بإيحاء إليها، أو لمحها تدلّ عليها"^(٥١)، إذ تُعدّ من الوحدات اللغوية التي تتحكم بها قواعد الاستعمال السابق واللاحق، ويتأسس هذا المنطلق من حيث اقتضاءها لغيرها سابقاً كان أو لاحقاً، ويعتمد هذا على اختلاف طبيعة الدور الدلالي وعلى الصور التي يؤديها كل صنف من الوحدات اللغوية في

النَّص^(٥٢)، ونجد أن هذه المسألة تأخذ مجال اهتمامها عند الذين اهتموا بدراسة النص؛ وذلك لدور الربط الذي تحققه هذه الوحدات: "إذا كانت الضمائر تحدد مشاركة الشخوص في التواصل أو غيابها عنه، فإن أسماء الإشارة المكانية والزمانية والظروف الدالة على الاتجاه، تحدد مواقعها في الزمان والمكان داخل المقام الاشاري، وهي تماماً مثلها لا تفهم إلا إذا ربطت بما تشير إليه، ويجري تقسيمها في اللغة العربية إلى أقسامها المعروفة باعتماد المسافة (قرباً وبعداً) من موقع المتكلم في المكان أو في الزمان"^(٥٣)، ذلك أن معنى اسم الإشارة: "الإيماء إلى حاضر"^(٥٤)، وهذا إنما "تدلّ عليه قرائن الحال... باللحظ واللفظ الخارج من طرف اللسان، وهيئة المتكلم..."^(٥٥)، فيقال لهذه الأسماء مبهمات؛ "لأنّها تشير بها إلى كلّ ما بحضرتك، وقد يكون بحضرتك أشياء فتلتبس على المخاطب، فلم يدر إلى أيّها تشير، فكانت مبهمة لذلك. ولذلك لزمها البيان بالصفة عند الإلباس.. فتعريف الإشارة أن تخصص للمخاطب شخصاً يعرفه بحاسة البصر، وسائر المعارف هو أن تختص شخصاً يعرفه المخاطب بقلبه، فلذلك قال النحويون: إن أسماء الإشارة تتعرف بشيئين بالعين أو بالقلب"^(٥٦)، والأصل في أسماء الإشارة: "ألاّ يشار بها إلا إلى مشاهد محسوس قريب أو بعيد فإنّ أشير بها إلى محسوس غير مشاهد نحو قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ﴾"^(٥٧)، فلتصيره كالمشاهد، وكذلك أن أشير بها إلى ما يستحيل إحساسه ومشاهدته"^(٥٨)، نحو قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ كُمُ اللَّهُ﴾"^(٥٩)، وقوله تعالى ﴿ذَلِكَ مَا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾"^(٦٠).

فيشكل لاسم الإشارة دوراً مهماً في عملية التأويل بوساطة تعدد المشار إليه فقال تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللّٰهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ مِّنَ اللَّهِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٦١) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٢﴾ اسم الإشارة (ذلك)، أصله (ذا) التي هي للقريب، "والكاف للخطاب وزيدت اللام لتدلّ على بعد المشار إليه...؛ لأن حقيقة الإشارة الإيماء إلى حاضر، فإذا أرادوا الإشارة إلى منتج متباعد، زادوا كاف الخطاب وجعلوه علامة، لتباعد المشار إليه فقالوا ذلك، فإن زاد بعد المشار إليه، أتو بالأم مع الكاف، فقالوا (ذلك) وأسنفيد باجتماعهما زيادة في التباعد"^(٦٢)، الحديث عن جريمة الكفر بالله تعالى من بعد الإيمان، وسيكون المشار إليه هنا العقوبة لهذه الجريمة بأنهم سينالون العقاب المناسب العظيم، ويكون

المعنى: "حل بهؤلاء المشركين غضب الله، ووجب لهم العذاب العظيم من أجل أنهم اختاروا زينة الحياة الدنيا على نعيم الآخرة، ولأن الله لا يوفق القوم الذين يجحدون آياته مع إصرارهم على جحودهم" (٦٣).

يُدرِك مما تقدم أنَّ الإشارة هنا إلى العذاب العظيم الذي سينالوه، لذلك عبر عنه باسم الإشارة (ذلك) التي للبعيد؛ لأنَّه دلَّ على عظم هذا العذاب، أو إشارة إلى جريمة الكفر من بعد الإيمان، فارتكبوا ذنباً كبيراً بسبب كفرهم من بعد الإيمان، فقد: "أسنقر في قلوبهم أحقية الإسلام وما رجعوا عنه إلا خوف الفتنة أو رغبة في رفاهية العيش، فيكون كفرهم أشد من كفر المستصحين للكفر من قبل البعثة" (٦٤)، إذ قيل (أنهم استحبوا) ولم يُقال (أحبوا)، للمبالغة في حبهم للدنيا، فقدموا نفع الدنيا على نفع الآخرة، فتكون الإشارة في (ذلك) إلى عذاب الله، وغضب الله، والحرمان من رحمته.

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (٦٥)، اختلفوا في اسم الإشارة (ذلك) قيل هو بمعنى (هذا)، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾، أشار إلى البعد، ولم يقل: هذا الكتاب، ليدلَّ على علو منزله هذا الكتاب، الذي يعلو كلامه كل كلام، ونوره يصدع على الأنوار، فإنَّه معجزة خالدة، لا يناله أي أحد قط.

ونجد تحقيق الإحالة الموسعة باسم الإشارة أيضاً في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الدُّنْيَا أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاغِبُونَ إِلَىٰ عِزِّ اللَّهِ وَلِلَّهِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (٦٦)، في النص يبرز اسماً إشارة دالان على الجمع، أحدهما يدل على القريب وهو (هؤلاء)، والآخر يدل على البعيد وهو (أولئك)، ففي قوله تعالى: ﴿هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾، إشارة إلى تأكيد وتكرار لوجهتهم في التمرد والعصيان وذلك بتفضيلهم: عبدة الأوثان على الذين آمنوا بمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهو يجري مجرى المكابرة، فمن يعبد غير الله تعالى كيف يكون أفضل حالاً ممن لا يرضى بمعبود غير الله تعالى ومن كان دينه الاقبال بالكلية على خدمة الخلق والاعراض عن الدنيا والاقبال على الآخرة كيف يكون أقل حالاً ممن كان بالضد في كل هذه الأحوال... (٦٧)، هذا المعنى متحقق إن كانت الإحالة بـ(هؤلاء)، راجعة على عبدة الأوثان بشكل عام وإن تخصص بقريش، لأنَّها أقرب مذكور بوصف أنَّ الموصوفين بـ(الذين كفروا)، هم قريش (٦٨)، أو أن أشير بـ(هؤلاء)، إلى الأصنام أنفسهم أي موضع الخلاف فيكون في اسم الإشارة (هؤلاء) تحقير وتصغير للمشار إليه: "والظاهر أنهم أطلقوا أفعال التفضيل ولم يلحظوا معنى التشريك فيه، أو قالوا ذلك على سبيل

الاستهزاء^(٦٩)، أو أن يتعدد المشار إليه بـ(هؤلاء)، لكون الإشارة بقوله تعالى: ﴿هَؤُلَاءِ أَهْدَى﴾، إلى الذين كفروا وهو حكاية للقول بمعناه؛ لأنهم إنما قالوا: (أنتم أهدى من محمد وأصحابه)، أو قال بعض اليهود لبعض في شأن أهل مكة: ﴿هَؤُلَاءِ أَهْدَى﴾، أي حين تناجوا وزوروا ما يقولونه، وكذلك قوله تعالى: ﴿مَنْ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، حكاية لقولهم بالمعنى نداء على غلطتهم؛ لأنهم إنما قالوا: (هؤلاء أهدى من محمد وأتباعه)، وإذ كان محمد وأتباعه مؤمنين فقد لزم من قولهم: إن المشركين أهدى من المؤمنين، وهذا محل التعجب^(٧٠).

ونجد فاعلية اسم الإشارة في النص لا تقتصر على(هؤلاء)، وإنما جاء التوسع في الإحالة باسم الإشارة (أولئك)، الذي جاء تعقيباً على التعجب بقوله سبحانه وتعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾، فكأنها ارتبطت بفعل الرؤية الذي تصدر النص بفكرته المركزية تأكيد التوحيد، وتأكيد خطأ اليهود وتزويرهم الحقائق التي جاءت بها الرسل قبل محمد(صلى الله عليه وآله وسلم)، فأصبحوا لبروز اللعنة الملصقة بهم من الله تعالى كالمشاهدين المشخصين من بين سائر الناس. "فمن بلغ من وصف حاله هذا المبلغ صار كالمشاهد، فناسب بعد قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾، أن يشار إلى الفريق المدعى أنه مرئي، فيقال: (أولئك)..."^(٧١)، فيمكن أن يتسع مجال الإحالة بـ(أولئك)، ليشمل الفرق الثلاث: اليهود، والذين كفروا؛ "لأنَّ المراد بهم مشركو مكة وذلك اصطلاح القرآن في إطلاق صفة الكفر أنه الشرك"^(٧٢)، أو إلى الذين جعلوا بمقياس عبدة الطاغوت أهدى من المؤمنين، فيكون بذلك حكم اللعنة شاملاً للفرق الثلاث التي تحدث عنها سياق النص: "فبين أن عليهم اللعن من الله وهو الخذلان والابعاد وهو ضد ما للمؤمنين من القربة والزلفى... وفيه وعد للرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)، بالنصرة وللمؤمنين بالتقوية بالصد على الضد"^(٧٣).

وقوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْ بِهِ إِطْعَامَ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَرَةُ أَيْمَانِكُمْ﴾^(٧٤)، إن اسم الإشارة (ذلك) يحيل إلى كل ما سبق في الآية الكريمة من الأشياء الثلاثة المذكورة^(٧٥)، أي ذلك المذكور كفارة إيمانكم من الطعام أو الكسوة أو تحرير الرقبة، ولو قيل: "تلك كفارة إيمانكم لكان صحيحاً بمعنى تلك الأشياء"^(٧٦).

وقوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٧﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿٧٧﴾، إذ يشير اسم الإشارة (أولئك) إلى إحالات عديدة^(٧٨)، فإما أن يشير إلى الذين بالغوا في وصفهم بالكذب، أي كل كذب قليل بالنسبة إلى كذبهم وهم (قريش)، أو إلى الذين قالوا للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إنما أنت مفتر، (وهم المشركون) أو إلى الذين لا يؤمنون بشكل عام، أي أولئك هم الكاذبون على الحقيقة، الكاملون في الكذب، فانفتح المعنى في هذا النص إلى عدد من الإحالات فحصل اتساع واسع للمعنى .

وقوله تعالى: ﴿وَلَيْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ٧٩﴾ وَأَتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٧٩﴾، اسم الإشارة (تلك) يفيد البعد في المشار إليه، يشار بها إلى كل شيء^(٨٠)، فالإشارة هنا إلى قبيلة عاد، أو إشارة إلى قبورهم وآثارهم، فالإشارة إليهم هنا هو تنبيه خاطب به قوم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال (تلك عاد) فهو إشارة إلى قبورهم وآثارهم ومصارعهم^(٨١)، كأنه تعالى قال (سيروا في الأرض فانظروا إليها واعتبروا)، دلالة البعد هذه لعدمهم، والتحقير من شأنهم، فيتسع المجال الاحالي؛ لأن يكون إشارة إلى: "حاضر في الذهن بسبب ما أجري عليه من الحديث حتى صار كأنه حاضر في الحس والمشاهد"^(٨٢).

يفهم مما تقدّم أن تعدد وظائف (أسماء الإشارة)، من حيث دلالات القرب والبعد التي تنبثق عنها، والإحالات المتعددة دور مهم في إيجاد تعدد المدلولات، فيتحقق حينئذ تعدد المعنى بوساطة تعدد المشار إليه داخل النص.

٣- الأسماء الموصولة:

يُعدّ الاسم الموصول من المباني التي تشترك في مفهوم الإبهام^(٨٣)، كأسماء الإشارة، ويستعمل دالة؛ لتعيين المعنى الوظيفي الدلالي في النظم السياقي، ثم توصيف الاتساق اللغوي؛ بوصفه - الاسم الموصول - قرينة كاشفة للتعريف، أو التخصيص الوضعي^(٨٤)، تقع على "كل مسمى"^(٨٥). فهو كسائر المعارف الأخرى التي لا تتعين إلا بضمن دائرة السياق التخاطبي وقرائن الاستعمال ومقتضياته، وإذا كانت القرائن التّعينية النظميّة المعنويّة، قوائم المعرفة ومستوياتها الوضعية، إنما تتشخص دوالاً في مسالك وظيفيّة ومقاميّة، أو إحاليّة ومعجميّة معيّنة، فإنّ لاسم الموصول خصوصيّة امتياز، ربّما لا تتحدّد معاييرها الوظيفيّة وعالمها الدلاليّة التداوليّة إلا في إطار جملة من

القرائن التي تتضافر في شبكة السياق: ضمائم الاعتبارية، سواء أكانت متصلة أم منفصلة، تقضي قراءتها إلى توصيفها نفسها منظومة متكاملة، تتجلى في أصول التّضام النّحوي كلزوم الافتقار المتأصل والاختصاص والمرجعية والمطابقة ثم المخالفة والاستعمال القياسي؛ سبك النّص فإحكام صياغته، تعمل متكافلة متفاعلة على نحو التوضيح وإزالة الغموض، فبيان المعنى الدّلالي المراد. قال ابن يعش (ت٦٤٣هـ)، معنى الموصول: "أن لا يتم بنفسه ويفتقر إلى كلام بعده تصله به ل يتم اسماً..."^(٨٦)، وقال الأزهري (ت٩٠٥هـ): "وهو في الأصل اسم مفعول من وصل الشيء بغيره: إذا جعل من تامه"^(٨٧)؛ ولهذا وسمت هذه الدّوال بالموصولات؛ لأنها نواقص لا تتم إلا بما توصل به"^(٨٨)، على نحو خاص مخصوص كاحتياج الحروف إلى غيرها"^(٨٩).

وهذا المتمم الاسمي، في قراءة المدونة النّحوية: هو عبارة عن جملة تامة، تُسمى: صلة، أو كما في عبارة سيوييه: "حشوا"^(٩٠)، يتم بها الموصول اسماً؛ وذلك لأن: "الموصول ما لا يتم حتّى تصله بكلام بعده تام، فيصير مع ذلك الكلام اسماً تاماً بإزاء مُسمى، فإذا قلت: جاءني الرجل الذي قام، ف(الذي) وما بعده في موضع صفة الرجل، بمعنى: قائم، وإذا قلت: جاءني مَنْ قام، ف(من) وما بعدها في موضع اسم معروف غير صفة، فمنزلة الذي ونحوه من الموصولات وحده، منزلة حرف من الكلمة من حيث لا يُفهم معناه إلا بضمّ ما بعده إليه؛ فصار لذلك من مقدّماته؛ ولذلك كان الموصول مبنياً، فالموصول وحده اسم ناقص، أي: ناقص الدّلالة، فإذا جئت بالصلة، قيل: موصول حينئذٍ"^(٩١).

ولهذا كانت قراءة النّحويين لاسم الموصول صائرة على مستويين^(٩٢): الأول: في الاسم الموصول بنفسه بتوصيفه دالاً معرفاً، قراءة لتقسيمه المبني، كقرائن التقسيم التصريفي الجدولي، على قسمين: أحدهما: المختصّ، وهو ما اختصّ بمعيّن نصّاً فيه، لا يتجاوزه إلى غيره"^(٩٣)، بنحو من المطابقة: العدد، والنوع، والجنس، كالذي، والتي، وفروعهما، قال ابن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ): "الحاصل أنّها تنقسم إلى ستة أقسام؛ لأنّها إمّا لمفرد، أو مثني، أو مجموع، وكلّ من الثلاثة إمّا لمذكر، أو لمؤنث فللمفرد المذكر (الذي)، وتستعمل للعاقل وغيره،... وللمفرد المؤنث (التي)، وتستعمل للعاقلة وغيرها،..."^(٩٤).

وأما القسم الآخر من الأسماء الموصولات، فهو: الموصول الاسمي العام، أو الـ"مشارك بين معانٍ مختلفة بلفظ واحد"^(٩٥)، أي: ما يتعدد في معناه ومبناه واحد، ويعتمد فيه على قرائن السياق لتحديد معناه الوظيفي الدّلالي، "في المفرد والمذكر وفروعه، وهي (من)، وأصل وضعها لمن يعقل،... و(ما) لما لا يعقل،..."^(٩٦).

وأما المستوى الثاني، فذلك في قراءة ما تقتدر إليه كل الموصولات الاسمية من الصلة ومستوياتها المتواردة، التي تتعين شروطاً في التعليق والتوافق السياقي، مع قراءة أنساقها وأصالة موقعيتها من وجوب تأخيرها وعدم تقديم شيء منها عليها^(٩٧)، لزوماً، لأن الصلة من كمال الموصول ومنزلة منزلة جزئه المتأخر^(٩٨). ثم قراءة (العائد) وأصوله الترابطية ومقتضياتها السياقية في نحو المطابقة، قراءة لتفسير إحالة التعيين فالانساق التخاطبي؛ استمرار الدلالة، وذلك في كونها (الصلة): "إما جملة، وشرطها أن تكون خبرية، معهودة، إلا في مقام التهويل والتعظيم... ولا يجوز أن تكون إنشائية... وإما شبهها، وهي ثلاثة: الظرف المكاني، والجار والمجرور التامان..."^(٩٩)، وتامها يعني: حصول الفائدة.

قال ابن يعين (ت٦٤٣هـ): "وجملة الأمر أن الصلة بأربعة أشياء: الفعل والفاعل، والمبتدأ والخبر، والشرط وجوابه، والظرف، ولا بد في كل جملة من هذه الجمل من عائد يعود منها إلى الموصول، وهو ضمير ذلك الموصول ليربط الجملة بالموصول، ويؤذن بتعلقها بالموصول، إذ كانت الجملة عبارة عن كل كلام تام قائم بنفسه، فإذا أتيت فيها بما يتوقف فهمه على ما قبله آذن بتعلقها به، فمثال وصلك بالفعل: قولك: جاءني الذي قام، فالذي الموصول، وقام الصلة، والعائد الفاعل، وهو ضمير الموصول، واستتر في الفعل؛ لأنه له..."^(١٠٠). ولعل في هذا الترابط ما يتجاوز مبدأ السياق الوظيفي إلى تضافر من نحو الدلالة وحكم الجملة التي تتضمنها الصلة أيضاً، وذلك فيما ينبغي أن يعتقده المتكلم من أن المخاطب له علم حصوله للموصول^(١٠١)، وهو ما يلحظ من قراءة الرضي (ت٦٨٦هـ)، قال: "إنه لا بد في الصلة من ضمير عائد؛ وذلك لما قلنا (*) : إن ما تضمنته الصلة من الحكم متعلق بالموصول، لأنه إما محكوم عليه هو أو سببه، أو محكوم به هو أو سببه، فلا بد من ذكر نائب الموصول في الصلة ليتعلق الحكم بالموصول بسبب تعلقه بنائبه، وذلك النائب هو الضمير العائد إليه، ولو لم يذكر الموصول في الصلة، لبقى الحكم أجنباً عنه؛ لأن الجمل مستقلة بأنفسها لولا الرابط الذي فيها"^(١٠٢)، وهو العائد الذي تشتمل عليه جملة الصلة، ويكون مناسباً للموصول، لانقاً بمعناه، مطابقاً له، في: "الإفراد والتذكير والحضور، وفروعها"^(١٠٣).

فمن الأسماء الموصولة الخاصة مثلاً، قوله تعالى: ﴿وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَةً ضَعِيفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾^(١٠٤). وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١٠٥). وقوله تعالى ﴿الَّذِينَ

يَا كُلُّونَ الرِّبَا لَا يَقُومُوا إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَحَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴿١٠٦﴾. وقوله تعالى: ﴿وَالَّتِي يَبْسُنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحْضَنْ وَأُولَٰئِكَ الْأَحْمَالُ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ (١٠٧).

فالأسماء الموصولة في هذه الآيات القرآنية تحيل إلى اتساع كبير في المعنى وإن كانت من ضمن الأسماء المختصة، ففي اسم الموصول (الذين) في الآية الأولى عامة عموماً قطعياً، والخطاب في الآية الكريمة للناس جميعاً، أي ليخش كل من ترك ذرية خلفه خافوا عليهم من الظلم والجور أو الضياع من بعدهم لعدم وجود كاسبهم وكافلهم، فهنا اللفظة شاملة للأفراد جميعاً، وكذلك الاسم الموصول (الذين) عام شامل في الآية الثانية، أي كل الذين يجاهدون في سبيله سوف يهديهم الله سُبُلَهُ، فاتسع المعنى للمجاهدين جميعاً، وفي الآية الثالثة اتسع المعنى للأفراد أجمع الذين يأكلون الربا، وكذلك لفظ (اللاتي) في الآية الرابعة عامة، فاتسع المعنى للآيسة من المحيض جميعها وهكذا ...

أما بالنسبة إلى الاتساع الذي يحصل في الموصولات المشتركة: الاسم الموصول العام. ف(من) تستعمل للعاقل أصلاً مفرداً كان أو مثني أو جمعاً أو مؤنثاً أو مذكراً. مثال للمفرد، قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِمُ الْآخِرُ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (١٠٨)، وكقولنا: جاءني من قام، ومن قامت، ومن قاما، ومن قامتا، ومن قمن. وقد تستعمل لغير العاقل، وهو أن ينزل غير العاقل منزلة العاقل، كقوله تعالى: ﴿وَمَن أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ﴾ (١٠٩)، أو أن يجتمع غير العاقل مع العاقل في حكم واحد، كقوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (١١٠)، ف(كمن لا يخلق) انه عام في العاقل وغيره؛ لشموله بالإحالة إلى الادميين، والملائكة، والأصنام، فالجميع لا يخلقون شيئاً (١١١).

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ (١١٢)، فالسجود لله تعالى يشمل

العاقل وغيره، ممن في السموات والأرض، فإنه يحيل إلى الملائكة والشمس والقمر والنجوم، ويحيل إلى آدميين والجبال والشجر والدواب وغيرها^(١١٣).

أو يقتزن غير العاقل بالعاقل في عموم فصل ب(من) كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّن يَخُلقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١١٤)، فالآية الكريمة تعم أصناف من يدب على وجه الأرض، عاقلاً كان أو غيره وقد فصلها على ثلاثة أنواع، وهو من يمشي على بطنه، ومن يمشي على رجلين، فإنه يشمل الآدمي والطائر، ومن يمشي على أربع^(١١٥).

أما (ما) في الغالب لما لا يعقل، كقوله تعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١١٦)، وقد تستعمل للعاقل^(١١٧)، فيقتزن العاقل مع غير العاقل في حكم واحد، كقوله تعالى: ﴿سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(١١٨)، فالتسبيح لله تعالى يشمل العاقل وغير العاقل، ممن في السموات والأرض، وقد تقع على صفات من يعقل، كقوله تعالى: ﴿فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾^(١١٩)، بمعنى: فانكحوا الطيب من النساء، أي الحلال، مثني وثلاث ورباع، فإن ظنَّ عدم العدل بين الزوجات إذا تعددن فيما يجب لهن من حقوق النكاح، فاكتفوا بنكاح واحدة أو ما ملكت أيمانكم، وللمبهم أمره: كقولك وأنت ترى شبحاً تُقدر إنسانيته وعدم إنسانيته: أبصرت ما هناك ومنه قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَدَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(١٢٠).

وهكذا تنقسم الموصولات على قسمين: مختصة وعامة، ولعلَّ في استعمال الأسماء الموصولة سمة في اتساع المعنى في النصِّ القرآنيِّ ذلك؛ لأنَّ استعمال المختص غير المشترك ولعلَّ الأخير أكثر، وله خصائص تتعلق بانثقائه في السياق والذي يلحظ فيه استعماله أكثر في آيات الأحكام والتشريعات لخصوصها وكأنها قواعد كلية.

رابعاً : التناسب الإحالي بين الآيات والسور:

المناسبة لغةً، هي: المشكلة والمقاربة، يقال: بين الشيئين: مناسبة وتناسب، أي مشاكله، وتشاكل^(١٢١)، وقد حدّد علماء علوم القرآن المناسبة بأنّه: "علم تُعرف منه علل ترتيب أجزاء"^(١٢٢) القرآن الكريم، مع بيان أهميتها وغرضها فقالوا وثمرته: "الاطلاع على الرتبة التي يستحقها الجزء، بسبب ماله بما وراءه وما أمامه من الارتباط والتعلق الذي هو كلحمة النسب"^(١٢٣)، وهو لا يخرج عن مفاهيم نظرية السياق.

وقد تنبه القدماء لمرجعية (المناسبة) بين الآيات والسور، وفاتحة القرآن وخاتمته إلى معنى ما رابط بينها عامّ، أو خاصّ، عقليّ، أو حسيّ أو خياليّ، أو غير ذلك من أنواع العلاقات، أو التلازم الذهني، كالسبب والمسبب، والعلة والمعلول، والنظيرين والضدين ونحوه^(١٢٤)، ولم يكتفوا بهذا المعنى، وإنّما قاموا بذكر فائدة هذا المعنى وهي: "جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء"^(١٢٥)، وقد اشترط علماء النّص بوجود علاقة بين المتناسبين قد تكون ظاهرة أو غير ظاهرة، فيبحث عن الدعامة التي تجمع بينهما. فالمناسبة إذن توصل إلى العلاقة، وإنّ هذه العلاقة سوف تقتضي مرجعية أحد المتناسبين إلى الآخر، في حين تحققت هذه المرجعية سيؤدي إلى تحقيق التماسك بينهما وفق الشكل الآتي:

المناسبة ← العلاقة ← المرجعية ← التماسك.

والذي نعنيه: بالتماسك النصي، هو: الارتباط الوثيق لإظهار وظيفة المناسبة إذ إنها تسهم في تحقيق الارتباط بين عناصر النص، فيكون ارتباط الكلام واقعاً في أمر متحد مرتبط أوله بآخره^(١٢٦)، إذ ينبغي في كلّ آية أن تكون مكملّة لما قبلها أو مستقلة، فالمستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها وهكذا في كلّ السور، لا بد أن يُعرف وجه اتصالها بما قبلها وما السياق الذي ورد فيه. فالمناسبة في النّص القرآنيّ تقوم على الارتباط بين الآيات والسور، إذ توجد مناسبة بين الآية السابقة والآية اللاحقة أو ارتباط السور بعضها مع البعض الآخر، أو ارتباط فاتحة السورة لأسمها، مثلاً: لماذا افتتحت سورة الكهف أو الأنعام بهذه الآيات وما الإحالة إلى ذلك: ويمكننا القول إنّ: "المناسبة سبيل النّص إلى الانسجام"^(١٢٧)، وأدركوا معنى الإحالة في فواتح السور إذ فيها رمز تبني عليه السورة^(١٢٨)، وسُئل

الشيخ تاج الدين عن الحكم في: "افتتاح سورة الإسراء بالتسبيح والكهف بالتحميد أجاب: بأن التسبيح حيث جاء مقدم على التحميد، نحو سبح بحمد ربك، سبحان الله والحمد لله" (١٢٩)، وأجاب ابن الزمكاني: "بأن سورة (سبحان) لما اشتملت على الإسراء الذي كذب المشركون به النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وتكذيبه تكذيب لله تعالى، أتى بسبحان لتنزيه الله عما نسب إليه ولنبهه من الكذب، وسورة الكهف لما أنزلت بعد سؤال المشركين عن قصة أصحاب الكهف وتأخير الوحي نزلت مبينة، أن الله تعالى لم يقطع نعمته عن نبيه ولا عن المؤمنين بل أتمّ النعمة بإنزال الكتاب فناسب افتتاحها بالحمد على هذه النعمة" (١٣٠).

فاسم السورة ذاتها تحمل قيمة إichالية مفسرة للسورة نفسها (مضمون السورة)، وسورة الفاتحة تملك إحالة لاحقة على سور القرآن الكريم جميعها، إذ فيها تفصيل لما أجملته سورة الفاتحة: "فإنها بنيت على إجمال ما يحويه القرآن مفصلاً، فإنها واقعة على مطلع التنزيل، والبلاغة فيه أن تتضمن ما سيق الكلام لأجله، ولهذا لا ينبغي أن يقيد شيء من كلماتها ما أمكن الحمل على الإطلاق" (١٣١).

إذ افتتحت بقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، فوصف بأنه مالك المخلوقين جميعاً، وفي سورة الأنعام والكهف وسبأ وفاطر، لم يوصف بذلك. هنا اتساع كبير في الخطاب، إذ وصف الجميع في سورة الفاتحة ولم يوصف كل هذا الوصف في السور الباقية، بل بفرد من أفراد صفاته وهو خلق السموات والأرض، والظلمات والنور في سورة الأنعام، وإنزال الكتاب في سورة الكهف، وملك ما في السموات وما في الأرض في سورة سبأ، وخلقها في سورة فاطر، فسورة الفاتحة أم القرآن ومطلعه، ناسب الآيات فيها، بأبلغ الصفات وأعما وأشملها، فلهذا وصف فيها هذا الاتساع في الخطاب، إذ سورة الفاتحة فيها إحالة لاحقة على القرآن أجمع .

وختام القرآن الكريم بالمعوذتين فيه إحالة تقديمية على سور القرآن أجمع، وإنه لما أمر القارئ، أن يفتح قراءته بالتعوذ من الشيطان الرجيم، ختم القرآن الكريم بالمعوذتين؛ لتحصل الاستعاذة بالله تعالى عند أول القراءة وعند آخر ما يقرأ من القرآن الكريم، فتكون الاستعاذة اشتملت على طرفين: الابتداء والانتهاء، ليكون القارئ محفوظاً بحفظ الله تعالى، الذي استعاذ به من أول الأمر إلى آخره (١٣٢).

ويُعدّ افتتاح كلّ سورة في غاية المناسبة لما ختم به السورة التي قبلها كافتتاح سورة الحديد بالتسبيح بقوله تعالى: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(١٣٣)، إذ فيها إحالة داخلية سابقة إلى ختام سورة الواقعة في قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾^(١٣٤).

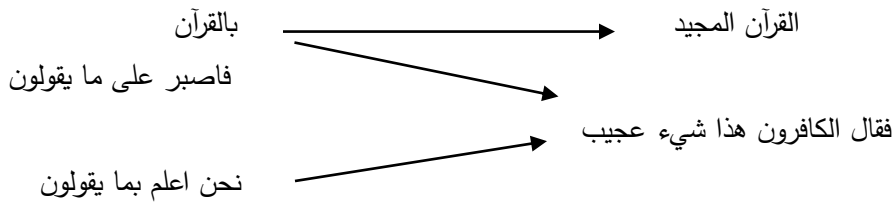
وكافتتاح سورة البقرة بقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(١٣٥)، إذ فيها إحالة قبلية إلى الصراط في قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(١٣٦)، كأنهم لما سألوا الهداية إلى الصراط المستقيم، قيل لهم: ذلك الصراط الذي سألتم الهداية إليه هو الكتاب، وهذا معنى حسن يظهر فيه ارتباط سورة البقرة بالفتحة^(١٣٧)، وهكذا: " كلّ لفظ يتوسط السياق اللغوي يحمل قيمة احوالية على ما قبله وما بعده"^(١٣٨).

فالمناسبة إذن: "تحقق الرابط بين الآية وما تسبقها من آيات، ومن ثم فهي تحقق التماسك بين هذه الآيات"^(١٣٩)، وإنّ مناسبة أسم السورة لمضمونها فيه إحالة داخلية على حساب أنّ العنوان فيه إحالة لاحقة لمضمون السورة، ومضمون السورة فيه إحالة سابقة إلى عنوانها وهذا يرجع إلى التماسك النصي بين أسم السورة ومضمونها، ولا ريب في أنّ ما يوجد في السورة من الحوادث أم العلاقات أم الضمائر أم التكرار، إنّما هي إحالة نصية سابقة إلى أسم السورة مثل سورة نوح بما فيها من أحداث أو ضمائر أو تكرار إنّما تُعدّ إحالة مرجعية إلى أسم السورة (نوح).

وسورة المؤمنون فمضمون السورة في بادئ الأمر عن صفة المؤمنين وبعد ذلك حقيقة ودلائل الإيمان. وهناك إحالة نصية بين أول السورة وآخرها ونوضح ذلك عبر نصوص قرآنية، فمن ذلك مثلاً قوله تعالى في بداية سورة ق: ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ۝ بَلْ عَجَبُوا أَن جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾^(١٤٠)، وفي خاتمتها قوله تعالى: ﴿فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾^(١٤١)، وقوله تعالى: ﴿تَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾^(١٤٢). فالإحالة تحصل في خاتمة السورة من لفظ: ﴿بِالْقُرْآنِ﴾، فيها إحالة سابقة إلى لفظه: ﴿وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾، وقوله تعالى: ﴿فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾، وقوله تعالى: ﴿تَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾، فيهما إحالة على قوله تعالى: ﴿فَقَالَ

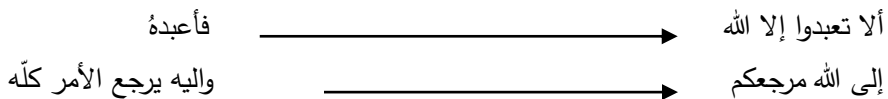
الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿١٤٣﴾، فَإِنَّ فِي مَقْدَمَةِ السُّورَةِ الْإِنْذَارَ فِي وَظِيفَةِ الرَّسُولِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وَفِي خَاتَمَتِهَا التَّذْكِيرَ، وَهَكَذَا فَإِنَّ نَهَايَةَ السُّورَةِ فِيهَا تَتَكِيرٌ وَبَدَايَتُهَا تَنْذِيرٌ، فَالْإِنْذَارُ جُزْءٌ مِنَ التَّذْكِيرِ (١٤٣).

كما في المخطط الآتي:



وتتكرر الإحالة النصية في سورة هود التي تتحدث عن قضية عباد الله فقولته تعالى في مقدمة السورة: ﴿الرَّكَتَنِي أَحْكَمَتِ أَيْلَتُهُ وَثُمَّ فَضِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ ۝ أَلَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُرْمُتُهُ نَزِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ (١٤٤)، وقوله تعالى: ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٤٥)، وقوله تعالى في خاتمتها: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (١٤٦).

هنا إحالة مرجعية، فقد تحيل خاتمة السورة إلى مقدمتها، والمخطط الآتي يوضح ذلك:



يُدرِكُ مِمَّا تَقَدَّمَ أَنَّ الْإِتِّسَاعَ يَحْصُلُ فِي تَوْصِيفِ مَعْنِيَةِ الْإِحَالَةِ الْمَرْجِعِيَّةِ وَكُلِّ مِنْهُمَا يَشِيرُ إِلَيْهِ، وَهَذَا يَعُودُ إِلَى حَسَنِ الْإِرْتِبَاطِ بَيْنَ الْآيَةِ وَمَا يَسْبِقُهَا وَمَا يَلِيهَا وَبَيْنَ أَوَّلِ السُّورَةِ وَآخِرِهَا، وَبَيْنَ السُّورَةِ وَمُضْمُونِهَا، إِذْ إِنَّ مَقْدَمَةَ السُّورَةِ لَا تَتَفَكَّرُ عَنِ الْخَاتَمَةِ وَاسْمِ السُّورَةِ لَا تَتَفَكَّرُ عَنْ مَضْمُونِهَا، وَهَكَذَا عَلَى مَسْتَوَى السُّورِ الْقُرْآنِيَّةِ .

الخاتمة

وفي ختام هذه الدراسة التي تناولت فيها ظاهرة التماسك النصي وأثر الإحالة في اتساع المعنى، يمكن أن أوجز فيها أهم ما توصلت إليه في هذا البحث بمجموعة من النقاط:

١- أن التوسع في المعاني أو دلالات الألفاظ يرجع في مجمله إلى صفة الإعجاز في القرآن الكريم، فالنص القرآني نص متماسك (بنية كلية واحدة)، عجز العرب على أن يأتوا بمثله، فهو معجز بكلماته وألفاظه وترتيب أسلوبه...

٢- من الأدوات التي أسهمت في التماسك النصي، كان أشهرها مفهوم الإحالة بنوعها البعدية والقبلية، فلها الأثر البالغ في تشكيل النص وتحقيق تماسكه.

٣- تشكل أدوات الإحالة (الضمائر، واسم الإشارة، واسم الموصول)، دوراً واضحاً في التماسك النصي، وللسياق الدور الفاعل في معرفة عود الضمير، وتوجيه العناصر الإشارية. وبدونه قد يغمض علينا ذلك.

٤- تعد وسيلة المناسبة من الوسائل المهمة التي تحقق التماسك النصي، فهي تقوم بكشف العلاقات الخفية الرابطة بين الوحدات المختلفة للصور القرآنية.

المصادر المطبوعة.

- القرآن الكريم.
- ❖ الإتيان في علوم القرآن أبو الفضل عبد الرحمن الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ) حقق أصوله ووثق نصوصه وكتب مقدماته ، طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر .
- ❖ الإحالة في القرآن الكريم، د. عباس علي الأوسي ، ط ١، ٢٠١٢م، دار ضفاف للطباعة والنشر والتوزيع.
- ❖ أساس البلاغة، أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) تحقيق، محمد باسل عيون السود، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، منشورات محمد علي بيضون.
- ❖ أسرار ترتيب القرآن، للحافظ جلال الدين السيوطي (٨٤٩هـ - ٩١١هـ) دراسة وتحقيق، عبد القادر أحمد عطا، مرزوق علي إبراهيم، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير.
- ❖ إشكاليات القراءة وآليات التأويل، نصر حامد أبو زيد، ط ٧، ٢٠٠٥م، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان.
- ❖ أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، محمد الشاوش، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، المؤسسة العربية للتوزيع تونس.



- ❖ الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني (٦٦٦ - ٧٣٩ هـ) دققه وعلق عليه وفهرسه، د. عبد الحميد هنداوي، ط٣، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع.
- ❖ البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض شارك في تحقيقه: د. زكريا عبد المجيد النوتي، د. أحمد النجولي الجمل، ط٣، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان.
- ❖ البرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٣، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، مكتبة دار التراث.
- ❖ تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض الملقب بمرتضى الزبيدي، (ت ١٢٠٥هـ) تحقيق، مجموعة من المؤلفين، دار الهداية.
- ❖ التحرير والتنوير، سماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد بن طاهر بن عاشور، جميع حقوق الطبع محفوظة للدار التونسية، تونس، ١٩٨٤.
- ❖ تحليل الخطاب، بروان - ويول، ترجمة وتعليق، د. محمد لطفي الزليطي، د. منير التريكي، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود.
- ❖ تحليل اللغوي للنص مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، كلاوس برينكر، ترجمه وعلق عليه، أ. د. سعيد حسن بجيري، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع.
- ❖ جامع البيان عن تأويل أي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري، هذبه وحققه وضبط نصه وعلق عليه، د. بشار عواد معروف، عصام فارس الحرستاني، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، مؤسسة الرسالة.
- ❖ جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني، ط٢٨، ١٩٩٣م، المكتبة العصرية.
- ❖ الجامع لأحكام القرآن و المبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، (ت ٦٧١هـ) تحقيق، عبد الله بن عبد المحسن التركي، شارك في تحقيق هذا الجزء محمد رضوان عرقسوسي، ماهر حبّوش، ط١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، مؤسسة الرسالة.
- ❖ الخطاب وخصائص اللغة العربية دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، أحمد المتوكل، ط١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، دار الأمان الرباط.
- ❖ دلائل الأعجاز، للشيخ أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي (ت ٤٧١ أو ٤٧٤هـ)، تحقيق، محمود محمد شاكر، ط٣، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، دار المدني بجدة .
- ❖ شرح التسهيل، لأبن مالك جمال الدين محمد بن عبد الله بن عبد الله الطائي الجبالي الأندلسي (٦٠٠ - ٦٧٢هـ) تحقيق، د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع.



- ❖ شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، وهو شرح للشيخ خالد بن عبد الله الأزهرى، (ت ٩٠٥هـ) على أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك للإمام جمال الدين أبي محمد بن عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري، تحقيق، محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ❖ شرح الرضي على الكافية، رضي الدين الاسترآبادي (ت ٦٨٦هـ)، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية، جامعة قار يونس، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .
- ❖ شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، للإمام جمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف المعروف بابن هشام النحوي (٧٠٨ - ٧٦١هـ) طبعة جديدة مصححة ومنقحة، اعتنى به، محمد أبو فضل عاشور، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١ م، دار أحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
- ❖ شرح المفصل، للشيخ العالم العلامة جامع الفوائد موقف الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي (ت ٦٤٣هـ) صححه وعلق عليه، حواشي نفيسة بعد مراجعته على أصول خطية بمعرفة مشيخة الأزهر المعمور .
- ❖ علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، د. صبحي إبراهيم الفقي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.
- ❖ في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت ١٣٨٥هـ) ط ١٤١٢، ١٧هـ، دار الشروق، بيروت، القاهرة.
- ❖ قاموس المحيط، للعلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ) تحقيق، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، ط ٢، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ م .
- ❖ قضايا اللغة في كتب التفسير المنهج ، التأويل ، الأعجاز ، د. الهادي الجطلاوي ، ط ١ ، ١٩٩٨ م ، دار محمد علي الحامي ، الجمهورية التونسية.
- ❖ الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للعلامة جابر الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (٤٦٧ - ٥٣٨هـ) تحقيق وتعليق ودراسة، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، شارك في تحقيقه، أ.د. فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، مكتبة العبيكان، الرياض، طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة.
- ❖ لسان العرب، للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفرقي المصري، دار صادر، بيروت .
- ❖ لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ط ١، ١٩٩١، المركز الثقافي العربي.
- ❖ اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، أحمد المتوكل، ط ٢٠١٠م، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، طرابلس الجماهيرية العظمى.
- ❖ اللغة العربية معناها ومبناها ، د. تمام حسان، دار الثقافة، ١٩٩٤م.

- ❖ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت ٥٤٦هـ) تحقيق، عبد السلام عبد الشافعي محمد، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١ م ، منشورات محمد علي بيضون .
- ❖ مشكل اعراب القرآن، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمَوْش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الاندلسي القرطبي المالكي (ت ٤٣٧هـ) تحقيق، د.حاتم صالح الضامن، ط ١، ١٤٠٥هـ، مؤسسة الرسالة بيروت.
- ❖ معترك الأقران في أعجاز القرآن، أبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي الشافعي (ت ٩١١هـ) ضبطه وصححه وكتبه فهارسه، أحمد شمس الدين، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨ م ، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان .
- ❖ معجم مقاييس اللغة، أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥ هـ) تحقيق وضبط، عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، سنة النشر، ١٣٩٩ - ١٩٧٩ .
- ❖ ومفاتيح الغيب للإمام محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري، ط ١، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر
- ❖ مفتاح العلوم، للإمام أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي (ت ٦٢٦هـ) ضبطه وكتبه هوامشه وعلق عليه، نعيم زرزور، ط ١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣ م ، ط ٢ ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧ م .
- ❖ مفهوم النص دراسة في علوم القرآن ، نصر حامد أبو زيد ، ط ١ ، ٢٠١٤ ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، جميع الحقوق محفوظة، مؤسسة مؤمنون بلا حدود.
- ❖ المقتضب، صنعه أبي العباس محمد بن يزيد المبرد (٢١٠ - ٢٨٥ هـ) تحقيق، محمد عبد الخالق عزيمة، ط ١، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، جمهورية مصر العربية وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

- ❖ مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، محمد محمد يونس علي، ط١، حزيران / يونيو / الصيف، ٢٠٠٤ إفرنجي، دار الكتاب الجديد المتحدة .
- ❖ موسيقى الشعر، د. إبراهيم أنيس، ط٢، ١٩٥٢م، ملتزم الطبع والنشر، كتبه الانجلو المصرية.
- ❖ نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، د. أحمد عفيفي، ط١، مكتبة زهراء الشرق، شارع محمد فريد، القاهرة، سنة النشر، ٢٠٠١ .
- ❖ النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة ، د. عباس حسن، ط٣، دار المعارف بمصر.
- ❖ نسيج النص، بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً، الأزهر الزناد، ط١٩٩٣، المركز الثقافي العربي.
- ❖ النص والخطاب قراءة في علوم القرآن، د. محمد عبد الباسط عيد، تقديم، أ.صلاح رزق ، ط١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، الناشر مكتبة الآداب، علي حسن.
- ❖ النص والخطاب والاجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة، د. تمام حسان، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .
- ❖ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للإمام المفسر برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت ٨٨٥هـ - ١٤٨٠م) دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة.
- ❖ نقد الشعر، لأبي الفرج قدامه بن جعفر، تحقيق، د. عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
- ❖ همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ) تحقيق، أحمد شمس الدين، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان.

الهوامش

- (١) موسيقى الشعر: ٣٠٠ .
- (٢) دلائل الإعجاز: ٣٩ .
- (٣) أساس البلاغة، ماله (مسك): ٢ / ٢١٣ .
- (٤) لسان العرب، ماله (مسك): ١٠ / ٤٨٩-٤٩٠ .
- (٥) علم اللغة النصي: ٩٦/١ .
- (٦) المصدر نفسه: ٩٨ / ١ .
- (٧) نحو النص: ٩٠ .
- (٨) النص والخطاب والإجراء: ١٠٣ .
- (٩) أصول تحليل الخطاب: ١ / ١٢٤ .
- (١٠) ينظر: لسانيات النص: ١٦-٢٦ .
- (١١) ينظر: النص والخطاب والإجراء: ٣٠١ .
- (١٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة، مادة (حول): ٢ / ١٢١، ولسان العرب، ماله (حول): ١١ / ١٨٤، والقاموس المحيط، مادة (حول): ٩٨٩ .
- (١٣) النص والخطاب والإجراء: ١٧٢، وينظر: اللسانيات الوظيفية: ١٩ .
- (١٤) الخطاب وخصائص اللغة العربية: ٧٣ .
- (١٥) ينظر: لسانيات النص: ١٦-١٧، ونسيج النص: ١١٨-١١٩، والنص والخطاب والإجراء: ٣٠١، والتحليل اللغوي للنص: ٤٧، وأصول تحليل الخطاب: ١ / ١٢٥، وعلم اللغة النصي: ١ / ٤٠-٤١، وتحليل الخطاب، براون- ويول: ٢٣٨-٢٣٩ .
- (١٦) ينظر: مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب: ١٩-٢٠ .
- (١٧) ينظر: اللسانيات الوظيفية: ١٩-٢١، والخطاب وخصائص اللغة العربية: ٧٥-٧٨ .
- (١٨) سورة يوسف، الآية: ١١١ .
- (١٩) سورة المائدة، الآية: ٣٨ .
- (٢٠) سورة النور، الآية: ٢ .
- (٢١) ينظر: اللسانيات الوظيفية: ١٩-٢١، والخطاب وخصائص اللغة العربية: ٧٥-٧٨ .
- (٢٢) سورة البقرة، الآية: ٦٧ .

- (*) تم التركيز هنا على هذه الأدوات الثلاث؛ لأنها الأكثر انتشاراً في تحقيق التماسك النصي، وهناك من الباحثين من يضيفون أدوات احوالية أخرى للتماسك هي: (التكرار، (وال) التعريف، وأدوات المقارنة).
- (٢٣) ينظر: لسان العرب، مادة (ضمير): ٤ / ٤٩٢ .
- (٢٤) ينظر: النحو الوافي: ١ / ٢١٧-٢١٨ .
- (٢٥) همع الهوامع: ١ / ٢١٨ - ٢١٩ .
- (٢٦) اللغة العربية معناها ومبناها: ١١١ .
- (٢٧) ينظر: الإتيان في علوم القرآن: ٢ / ٤٩ .
- (٢٨) ينظر: مفهوم النص: ١٨٢ .
- (٢٩) قضايا اللغة في كتب التفسير: ٣٢٧ .
- (٣٠) ينظر: إشكاليات القراءة واليات التأويل: ١٠١ .
- (٣١) سورة الحجر، الآيات: ٧٣-٧٦ .
- (٣٢) التحرير والتنوير: ١٤ / ٦٩ .
- (٣٣) ينظر: البحر المحيط: ٥ / ٤٥٠ .
- (٣٤) المصدر نفسه: ٥ / ٤٥٠ .
- (٣٥) في ظلال القرآن: ٤ / ٢١٥٠ .
- (٣٦) البحر المحيط: ٥ / ٤٥٠ .
- (٣٧) نظم الدرر: ١١ / ٧٨ .
- (٣٨) سورة البقرة؛ من الآية: ٢١٣ .
- (٣٩) لسانيات النص: ١٧٤ .
- (٤٠) مفاتيح الغيب: ٦ / ١٥ - ١٦ .
- (٤١) ينظر: نظم الدرر: ٣ / ١٩٩ - ٢٠٠ .
- (٤٢) سورة النحل، الآية: ٦٧ .
- (٤٣) ينظر: مشكل إعراب القرآن: ١ / ٤٢٣ .
- (٤٤) ينظر: شرح المفصل: ٥ / ٨٦ .
- (٤٥) نتائج الفكر في النحو: ١٧٧ .
- (٤٦) ينظر: قرائن التعليق في نهج البلاغة: ٦٢٦ (أطروحة دكتوراه).
- (٤٧) شرح المفصل: ٥ / ٨٦ .



- (٤٨) شرح الرضي على الكافية: ٣ / ٢٤٠ .
- (٤٩) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ٤٩ .
- (٥٠) ينظر: لسان العرب، ماده (شور): ٤ / ٤٣٧، والقاموس المحيط ، مادة (شور): ٤٢١ .
- (٥١) نقد الشعر: ١٥٤ - ١٥٥ .
- (٥٢) ينظر: التفسير البياني للتراكيب القرآنية ذوات الدلالات الاحتمالية: ١٨١ (أطروحة دكتوراه) .
- (٥٣) نسيج النص: ١١٧ - ١١٨ .
- (٥٤) شرح المفصل: ٣ / ١٢٦ .
- (٥٥) نتائج الفكر في النحو: ١٧٩ .
- (٥٦) شرح المفصل: ٣ / ١٢٦ .
- (٥٧) سورة مريم؛ من الآية: ٦٣ .
- (٥٨) شرح الرضي على الكافية: ٢ / ٤٧٢ .
- (٥٩) سورة يونس؛ من الآية: ٣ .
- (٦٠) سورة يوسف؛ من الآية: ٣٧ .
- (٦١) سورة النحل، الآيتان: ١٠٦ - ١٠٧ .
- (٦٢) شرح المفصل: ٣ / ١٣٥ .
- (٦٣) جامع البيان : ٤ / ٥٦١ .
- (٦٤) التحرير والتنوير : ١٤ / ٢٩٦ .
- (٦٥) سورة البقرة ، الآية : ٢ .
- (٦٦) سورة النساء، الآيتان: ٥١ - ٥٢ .
- (٦٧) ينظر: مفاتيح الغيب: ١٠ / ١٣٣ .
- (٦٨) ينظر: البحر المحيط: ٣ / ٢٨٤ .
- (٦٩) المصدر نفسه: ٣ / ٢٨٤ .
- (٧٠) ينظر: التحرير والتنوير: ٥ / ٨٧ .
- (٧١) التحرير والتنوير: ٥ / ٨٧ .
- (٧٢) المصدر نفسه: ٥ / ٨٦ - ٨٧ .
- (٧٣) مفاتيح الغيب: ١٠ / ١٣٣ .
- (٧٤) سورة المائدة؛ من الآية: ٨٩ .



- (٧٥) ينظر: المحرر الوجيز: ٢ / ٢٣٢، ومفاتيح الغيب: ١٢ / ٨٣، والبحر المحيط: ٤ / ١٥، والتحرير والتنوير: ٧ / ١٩.
- (٧٦) الكشف: ٢ / ٢٨٨.
- (٧٧) سورة النحل، الآيتان: ١٠٤ / ١٠٥.
- (٧٨) ينظر: الكشف: ٣ / ٤٧٥، والجامع لأحكام القرآن: ١٢ / ٤٣١.
- (٧٩) سورة هود، الآيتان: ٥٩ - ٦٠.
- (٨٠) ينظر: شرح المفصل: ٣ / ١٣٧.
- (٨١) ينظر: مفاتيح الغيب: ١٨ / ١٦.
- (٨٢) التحرير والتنوير: ١٢ / ١٠٤.
- (٨٣) ينظر: المقتضب: ٣ / ١٩٧، وشرح المفصل: ٣ / ١٣٩.
- (٨٤) ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٣ / ٨.
- (٨٥) شرح الكافية الشافية: ١ / ٢٥٣.
- (٨٦) شرح المفصل: ٣ / ١٣٨.
- (٨٧) شرح التصريح: ١ / ١٤٨.
- (٨٨) ينظر: اللباب: ٢ / ١١٣.
- (٨٩) ينظر: قرائن التعليق في نهج البلاغة: ٦٤٧ (أطروحة دكتوراه).
- (٩٠) ينظر: كتاب سبويه: ٢ / ١٠٥ - ١٠٨.
- (٩١) شرح المفصل: ٣ / ١٥٠.
- (٩٢) ينظر: قرائن التعليق في نهج البلاغة: ٦٤٧ (أطروحة دكتوراه).
- (٩٣) ينظر: شرح التصريح: ١ / ١٥٠.
- (٩٤) شرح شذور الذهب: ٨١ - ٨٢.
- (٩٥) شرح التصريح: ١ / ١٥٠.
- (٩٦) شرح شذور الذهب: ٨٢.
- (٩٧) ينظر: قرائن التعليق في نهج البلاغة: ٦٤٧ (أطروحة دكتوراه).
- (٩٨) شرح التصريح: ١٦٧.
- (٩٩) أوضح المسالك: ١ / ١٦٤ - ١٦٥.
- (١٠٠) شرح المفصل: ٣ / ١٥٠ - ١٥١.

- (١٠١) شرح الرضي على الكافية: ٩ / ٣ .
- (*) قال الرضي في شرحه على الكافية: ٧/٣: "إنما وجب كون الصلة جملة؛ لأن وضع الموصول على أن يطلقه المتكلم علما يعتقد أن المخاطب يعرفه بكونه محكوماً عليه بحكم معلوم الحصول له، إما مستمراً، نحو: باسم الله الذي يبقى ويفنى كل شيء...، أو في احد الأزمنة، نحو: الذي ضربني، أو اضربه، أو الذي هو الضارب، أو يكون متعلقه محكوماً عليه بحكم معلوم الحصول له مستمراً، أو في احد الأزمنة، نحو: الله الذي يبقى ملكه أو ملكه باقٍ، وزيد الذي ضرب غلامه، أو غلامه ضارب، أو يعتقد أن المخاطب يعرفه بكونه أو كون سببه حكماً على شيء دائماً أو في بعض الأزمنة، ...".
- (١٠٢) شرح الرضي على الكافية: ١١ / ٣ .
- (١٠٣) همع الهوامع: ١ / ٢٨١ .
- (١٠٤) سورة النساء، الآية: ٩ .
- (١٠٥) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩ .
- (١٠٦) سورة البقرة؛ من الآية: ٢٧٥ .
- (١٠٧) سورة الطلاق، الآية: ٤ .
- (١٠٨) سورة البقرة، الآية: ٨ .
- (١٠٩) سورة الاحقاف، الآية: ٥ .
- (١١٠) سورة النحل، الآية: ١٧ .
- (١١١) ينظر: شرح التسهيل، ابن مالك: ١ / ٢١٧، وشرح التصريح: ١ / ١٥٦، وجامع الدروس العربية: ١٣٣.
- (١١٢) سورة الحج، الآية: ١٨ .
- (١١٣) ينظر: شرح التصريح: ١ / ١٥٦، وجامع الدروس العربية: ١٣٣ .
- (١١٤) سورة النور، الآية: ٤٥ .
- (١١٥) ينظر: شرح المفصل: ٣/١٤٤، وشرح التسهيل: ١/٢١٧، وشرح التصريح: ١/١٥٦، وجامع الدروس العربية: ١٣ .
- (١١٦) سورة النحل، الآية: ٩٦ .
- (١١٧) ينظر: شرح المفصل: ٣ / ١٤٥، وشرح التسهيل، ابن مالك: ١/٢١٧، وشرح التصريح: ١/١٥٧ .
- (١١٨) سورة الحشر، الآية: ١ .
- (١١٩) سورة النساء؛ من الآية: ٣ .
- (١٢٠) سورة آل عمران، الآية: ٣٥ .
- (١٢١) ينظر: تاج العروس، ماده (نسب): ٤ / ٢٦٥ .



- (١٢٢) نظم الدرر: ١ / ٥ .
- (١٢٣) المصدر نفسه: ١ / ٥ .
- (١٢٤) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ١ / ٣٥ .
- (١٢٥) الإلتقان في علوم القرآن: ٣ / ٢٦٢ .
- (١٢٦) ينظر: علم اللغة النصي: ٢ / ٩٩ .
- (١٢٧) النص والخطاب قراءه في علوم القرآن: ٤٢ - ٤٣ .
- (١٢٨) ينظر: الإحالة في القرآن الكريم: ١٣ .
- (١٢٩) معترك الأقران: ١ / ٦٣ .
- (١٣٠) المصدر نفسه: ١ / ٦٣ .
- (١٣١) أسرار ترتيب القرآن: ٥١ .
- (١٣٢) ينظر: معترك الأقران: ١ / ٦٠ .
- (١٣٣) سورة الحديد، الآية: ١ .
- (١٣٤) سورة الواقعة، الآية: ٩٦ .
- (١٣٥) سورة البقرة، الآية: ٢ .
- (١٣٦) سورة الفاتحة، الآية: ٦ .
- (١٣٧) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ١ / ٣٨ .
- (١٣٨) الإحالة في القرآن الكريم: ١٥ .
- (١٣٩) علم اللغة النصي: ٢ / ١٠١ .
- (١٤٠) سورة ق، الأيتان: ١ - ٢ .
- (١٤١) سورة ق، الآية: ٣٩ .
- (١٤٢) سورة ق، الآية: ٤٥ .
- (١٤٣) ينظر: علم اللغة النصي: ٢ / ١٣٥ .
- (١٤٤) سورة هود، الأيتان: ١ - ٢ .
- (١٤٥) سورة هود، الآية: ٤ .
- (١٤٦) سورة هود، الآية: ١٢٣ .